الموضوع: كلمة السيدة رباب الصدر
المكان : حريصا
الجهة الداعية: لقاء الاثنين
التاريخ: 2008/10/29

باسمه تعالى

يسعدني أن تشارك مؤسسات الإمام الصدر مع مؤسسات أخرى بنشاط ثقافي في واحد من همومنا الاجتماعية والتربوية ، كما يسعدني أن أكون متحدثة بافتتاح سلسلة من الموضوعات التي تتعرض لهمومنا، فشكراً للأعزة في لقاء الاثنين الذين اجتهدوا لفترة من الزمن يعملون الفكر ويبذلون الوقت لترتيب مثل هذا الملتقى للتداول بالشؤون العامة وبمشاركة من كل من يحمل هماً اجتماعياً وتربوياً. ولا شك ان المواطنة فيما نعيشه من تراجعات في علائقنا كأفراد وجماعات بين بعضنا البعض بحيث يحتاج ، وبشكل أكيد ، إلى أن نبحث عن مفهوم المواطنة عندنا، ومهم جداً أننا لجأنا رأسا إلى التربية، وهي المصدر الأساس الذي يحدد لنا المفاهيم، لأن التربية هي اللغة الفعلية لثقافتنا الاجتماعية ، فبالتربية نحدد مساراتنا ، وبالتربية نصوغ نظامنا الاقتصادي ، وبالتربية نتعامل مع الآخر بمفهوم سياسي واضح الأهداف، كما أن التربية هي التي تساعدنا على تنظيم تفكير، وتهدينا إلى ذاتنا لنشبع حاجاتنا لسلامنا الداخلي الذي يترجم قوانينَ وقرارات توحد بيننا التوجهات والمسارات.
لا أعتقد أحداً إلا ويشاركني بما رميت إليه ، ولكني أتساءل عن الوسائل التي نوظفها لتبلغ التربية أهدافها؟ فعندما نبحث عن الدور، فعلينا أن نحدد أدواته وأول أداة وأخطرها (وحدة المنهج).

وحدة المنهج لا تحدده مؤسسة أو منظمة أو أي واحدة من مؤسسات المجتمع التي تتصدى للتشكيل الاجتماعي، فهذه مهمتها أن تتخذ سبيلها في تساوق نشاطها مع المنهج الذي ترسمه الدولة لتشكيل المجتمع الذي تريد، لمستقبل مرغوب، ولكن الدولة عندنا تركت باب العنصر الأساس في التوجيه الاجتماعي مفتوحاً على كل الاتجاهات ولعصف كل الرياح يوم نصت المادة العاشرة من الدستور اللبناني على أن التعليم حر، نعم التعليم حر بمعنى أدائه باعتبار أن لكل فرد أسلوبه بالتعليم ، أما التوجيه المبتغى لأداء المادة التعليمية يجب أن تؤدي إلى الغرض المرسوم حتى لو كانت العلوم التطبيقية.

أتجنب هذا الجانب النظري القائم على منهج فكري له دعاته وله عاملون، وعليه غالبية المؤسسات التربوية في لبنان.تماشياً مع نظريات لمفكرين تربويين عالميين ساروا على هذا من ضمن ما له علاقة

بالحريات العامة، وقد لا يكون هذا الآن موضوعنا ، ولذا اتجه إلى إشكال في حياتنا اليومية يمكن أن نبلغ فائدة بالحديث عنه.

مؤسسات الإمام السيد موسى الصدر تقع في وسط المنطقة الساخنة من لبنان– كما تعلمون، وهي المنطقة التي لم تنقطع عنها الاعتداءات الصهيونية منذ أن تشكلت دولة إسرائيل سنة 1948 .

القسم الرعائي بالمؤسسات أقيم لتوسع حالة اليتم في الجنوب نتيجة الاجتياح الصهيوني سنة 1978 ثم احتلال لبنان سنة 1982 واستمر التوسع حتى سنة 2000 وكان أقسى العمليات ما حدث على من لجأوا إلى القوات الدولية في قانا، ولم تهدأ الأمور حتى كانت حرب تموز 2006 وما تعرفونه من مآسي التشرد التي كان لمناطقكم وكل لبنان الحضن الدافئ ، هذا عدا الحرب اللبنانية التي لم يكن للجنوبي القاطن في بيروت مستقر لا في وسط ولا جنوب ولا شمال.

هذه حال الجيل الذي نعيش معه الآن ، وهذا هو الوسط الذي يقدم لنا الجيل الثاني ، ومن واجبنا الديني والاجتماعي والتربوي أن نهدئ نفوس صغارنا اليتامى لنزرع الاطمئنان على المستقبل لنبلغ السلام الداخلي للعيش بسلام في الخارج ، هذا السلام الذي يحقق الغرض الروحي من المواطنة، وليس الغرض المادي اللغوي لمعنى المواطنة ، وهو الإقامة أو النشأة في وطن واحد، فهذا المعنى حالة عابرة لا يرتب عليها سوى مقتضيات الرفاقية ، التي لا تستمر أكثر من نهاية الطريق ، أما المواطنة في بعدها الروحي هي الإقامة روحياً بالمكان، بناء على الحديث النبوي الشريف (حب الوطن من الإيمان).

ولكن حتى يصدق على الإيمان معناه، لا بد من أن يكون هنالك فعل يترجم هذا الإيمان ، اذ أن في المأثور:(الإيمان وقر في القلب والعمل الصالح يرفعه) . وان لم يكن من حركة تنقل الايمان من تجريديته أو بقائه محجوزاً أو محصوراً في الإحساس ، إن لم يكن هذا فلا معنى لإيمان متحجر فاقد التأثر والتأثير.

الفعل الإيماني بالوطن الذي قال عنه الإمام السيد موسى الصدر ، وسجل هذا القول في دستور ما بعد الطائف: (لبنان وطن دائم لجميع أبنائه) ، ويعني أن على جميع أبنائه إذا آمنوا به أن يقدموا الغالي والرخيص تجاهه، أن يضحوا بالمذهبية والطائفية والأنانية والزعامية والصنمية والشخصانية، يعني أن نكسر جميع الحواجز التي آمنا بها وشكلنا منها أوطاناً نواطن فيها رغباتنا وأهواءنا وأحقادنا وعدائياتنا مضحين بكل ما يجعلنا نواطن إنسان الحب والإيمان، وقد قال الإمام الصدر : (الوطن ليس ترفاً فكرياً) ، لذا أرجو أن نضع في لقائنا عناوين لمفهوم الوطن عندنا، لنستطيع أن نتصور المقصود من عبارة المواطنة، فهل الوطن مركز عبور ورفاقية طريق أم الوطن مستقر للحب والإيمان واستعداد لبذل التضحيات في سبيله لنحافظ عليه من اعتدائنا نحن لنكون جديين بالدفاع عنه ضد أخطار الخارج.

عدوانيتنا على معنى الوطن هي الأخطر على وطننا، فلنرفع عنه عدوانيتنا، بعد أن نحدد مفهوماً للوطن نعممه، نربي صغارنا عليه ، نثبت حبنا وإيماننا به، ثم بعد ذلك نستطيع أن نتحدث عن دور التربية وأدوار جميع مرافق الحياة لتستقيم عندنا مواطنة فيها روح الوطن وروحانيته.

وشكراً لكم جميعاً حضوراً ومنظمين وزملاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.